

الدرس الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .
أما بعد ..

الحديث السابع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: " إِنَّ اللَّهَ
كُتِبَ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً
كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعَفَ إِلَى أَضْعَافٍ
كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ
سَيِّئَةً وَاحِدَةً " رواه البخاري ومسلم في صحيحهما بهذه الحروف .

الشرح..

هذا الحديث حديثٌ قدسي نضير حديث أبي ذر رضي الله عنه المتقدم ، ونضير حديث أنس بن
مالك الآتي في آخر الأربعين " يا ابن آدم إنك ما دعوتني .. الحديث " ، وفي حديث ابن عباس
هذا وحديث أبي ذر المتقدم ؛ صيغة الرواية للحديث : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يرويه عن
ربه وصيغة الرواية في حديث أنس الآتي : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى .
فهاتان صيغتان لرواية الحديث القدسي ، وبهما يُعرف أن الحديث حديثٌ قدسي ، والحديث
القدسي الكلامُ فيه كلامُ الله ، لفظه ومعناه من الله تعالى ؛ ولهذا الكلامُ الذي يرد في
الحديث القدسي مثل قوله " يا عبادي " وغير ذلك مما يأتي في الأحاديث القدسية من خطابات
لا تكون إلا من الله ، ولا يمكن أن تقع من الرسول الملكي أو الرسول البشري ؛ بل هي كلام
الله تبارك وتعالى ، فالحديث القدسي هو كلام الله جل وعلا لفظه ومعناه ، والنبي صلى الله عليه وسلم
يُرويه عن الله تعالى .

وهذا الحديث حديثٌ قدسي عظيم في بيان كمال فضل الله وكمال عدله جل وعلا ؛ كمال فضله بالإنعام بوافر الثواب وجزيل الأجر وعظيم الإكرام لعباده المؤمنين ، وكمال عدله بمعاقبة العاصي ؛ فهو جل وعلا لا يجازي على السيئة إلا بالمثل ، جزاءً سيئةً بمثلها ولا يضاعف له عدد العقوبات وأنواع العقوبات على السيئة ، وإنما يجازي على السيئة بعقوبة واحدة مثل ما يأتي في الحديث . كُتبت له سيئة واحدة - بينما الحسنة تُكتب له حسنات إذا عملها .

فباب الحسنات كما هو واضح في الحديث يظهر فيه كمال فضل الله على عباده الطائعين المحسنين ، وباب السيئات يظهر فيه كمال عدل الله وأنه جل وعلا لا يكتب على المسيء إلا ما فعل ، ويعاقبه في حدود معصيته وحدود ذنبه إن لم يعف عنه تبارك وتعالى والأمر بمشيئته كما قال جل وعلا { إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } .

فالحديث فيه بيان كمال فضل الله وكمال عدله ؛ كمال فضله في باب الحسنات والثواب ، وكمال عدله في باب السيئات والعقاب ، وأنه جل وعلا لا يظلم أحداً ولا يخاف أحداً عنده جل وعلا ظلماً ولا هضماً .

قال فيما يرويه عن ربه " إن الله كتب الحسنات والسيئات " ثم بيّن ذلك : هذا إجمال في أول الحديث وتفصيل الإجمال يأتي في الحديث نفسه ؛ ولهذا قال "ثم بيّن ذلك" ، وهذا كما قال أهل العلم يؤخذ منه فائدة في باب التعليم وهي أن الإجمال أولاً بين يدي التفصيل نافع للمتعلم ومفيد له ، وأمكن له في الفائدة وضبطها ؛ ولهذا في هذا الحديث أجمل الأمر في الأول ثم فُصل ؛

أجمل في قوله "إن الله كتب الحسنات والسيئات" ما تفصيل هذه الكتابة ؟ يأتي بيان ذلك في الحديث ؛ ولهذا قال " ثم بيّن ذلك " .

والكتابة هنا كتابة الحسنات والسيئات فعلاً وعقوبة مقدرة لها في اللوح المحفوظ ، " كتب ذلك " أي في اللوح المحفوظ ؛ فيكون المعنى أن الله جل وعلا كتب في اللوح المحفوظ الحسنات والسيئات أي فعل الناس لها ، وأيضاً كتب العقوبة في اللوح المحفوظ على التفصيل الذي ورد وبيّن في هذا الحديث ،

أو أن الكتابة - كتابة الملك - لحسنات العبد وسيئاته كما سيأتي في الحديث الذي في صحيح البخاري يقول الله "إذا أراد عبي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكذبوها له بمثلها وإن تركها من أجلي فاكذبوها له حسنة" .

فيحتمل هذا وهذا ، ولا يمنع أن يكون متناولاً لذلك كله ؛ لأن كتابة الملائكة ليست خارجة عن الكتابة التي كُتبت في اللوح المحفوظ ، والذي كُتب في اللوح المحفوظ تقدير عام ، والذي يكتبه الملك تفاصيل ذلك التقدير فهي داخلة فيه وليست خارجة ؛ فلا يمنع أن يكون الحديث متناولاً لهذا وهذا .

بيّن التفصيل الذي يأتي في الحديث أن كتابة الحسنات والسيئات متناولة لكتابتها وقوعاً من العبد ومتناولة لثوابها إن كانت حسنة أو عقوبتها إن كانت سيئة ، فالله جل وعلا كتب ذلك كله فيما يتعلق بوقوعها من العبد وفعل العبد لها جاء في الحديث "إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة" ، وكتابة المثوبة أو العقوبة على ذلك أمرٌ فُصِّل في البيان الآتي في الحديث .

قال "ثم بيّن ذلك" : هذا بيان بعد إجمال ، وهذا من حسن التعليم و البيان ؛ أن يُجمل ذكر العلم أولاً ثم يُفصّل ليكون أمكن في ضبطه وفهمه وإتقانه .
قال "فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنه حسنة كاملة" هذا الأمر الأول .
"وإن همّ بما فعلها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة" هذا الأمر الثاني .

"وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة" هذا الأمر الثالث .
"وإن همّ بما فعلها كتبها الله سيئة واحدة" الأمر الرابع .
فهذا هو بيان الإجمال الذي صُدّر به الحديث بقوله "إن الله كتب الحسنات والسيئات" ، ففُصِّلَت هذه الكتابة إلى أربعة أقسام فيما يتعلق بالحسنات وفيما يتعلق بالسيئات .
وفي هذه الأقسام الأربعة يظهر كمال فضل الله في باب الحسنات وكمال عدله في باب السيئات ..

وألفاظ الحديث لها أهمية بالغة في تقرير هذا الأمر وبيانه ؛ أعني بيان كمال فضل الله وكمال عدله ؛ ولهذا ينبغي أن يُنتبه لألفاظ الحديث ؛ - كتبت حسنة كاملة كتبت سيئة واحدة - هذه الألفاظ لها مدلول عظيم جداً ولهذا الإمام النووي رحمه الله تعالى من أجل أن يُشعر بأهمية الألفاظ وعظيم مكانتها ودلالاتها على هذا الباب العظيم قال : " رواه البخاري ومسلم في صحيحهما بهذه الحروف " ؛ فلماذا قال ذلك مع أن الأحاديث التي مضت بالحروف نقلها ؛ فلماذا نص هنا وقال بهذه الحروف ؟ لينبه على المعنى العظيم ، وعندما تقرأ مثلاً " كتبتها الله عنده حسنة كاملة " ، أو تقرأ في السيئة " كتبتها الله سيئة واحدة " ؛ فهذه الحروف لها أهميتها في بيان كمال الفضل وبيان كمال العدل . فالنوي رحمه الله أراد أن ينبه على مكانة هذه الحروف ودلالاتها العظيمة على بيان فضل الله وكمال عدله سبحانه وتعالى

ولم يكتف بهذا بل إنه سطر كلمات رائعات رحمه الله عقب هذا الحديث ؛ قال رحمه الله تعالى :

" فانظر يا أخي وفقنا الله وإياك إلى عظم لطف الله تعالى وتأمل هذه الألفاظ وقوله "عنده" ؛ إشارة إلى الاعتناء بها ، وقوله "كاملة" للتوكيد وشدة الاعتناء بها ، وقال في السيئة التي همَّ بها ثم تركها كتبها الله عنده حسنة كاملة ؛ فأكد بها بكاملة ، وإن عملها كتبها الله سيئة واحدة ؛ فأكد تقليلها بواحدة ولم يؤكدها بكاملة ؛ فله الحمد والمنة سبحانه لا نحصى ثناءً عليه ، وبالله التوفيق .

الشرح ..

هنا أراد الإمام النووي رحمه الله تعالى أن ينبه طالب العلم عند قراءته لهذا الحديث العظيم لينتبه إلى مدلولات ألفاظه ، وأن ألفاظه ولا سيما المؤكدات التي وردت في تمام هذه الجمل لها مدلولها العظيم في بيان كمال فضل الله في باب الحسنات ، وكمال عدل الله تبارك وتعالى في باب المعاصي والسيئات .

الأمر الأول في هذه الأمور الأربعة

قال " فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة " : المراد بالهمَّ عزم القلب على فعلها لا مجرد حديث النفس ؛ وإنما حصل عنده عزم في قلبه أن يعمل الحسنة ، لكن حال بينه وبينها أمرٌ أو حائلٌ أو مانعٌ ؛ مثل شخص عزم أن يصوم يوم الإثنين وعقد العزم على

ذلك ورثب نفسه على هذا الأمر ؛ لقيه بعد العشاء أحد زملائه وقال له غداً عندي مناسبة وأرغب أن تشاركنا في الغداء فلبّي له ؛ فثُكِّب له حسنة إذا كان عزم على ذلك .

وكذلك إذا حال بينه وبين الأشياء التي عزم عليها مرضٌ أو سفر ؛ كُتِب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً ؛ فإذا كان العبد عازماً على الحسنة ولم يتمكن من فعلها ولم يتيسر له فعلها قال " كُتِبَت له حسنة " ؛ فلم يقل " واحدة " وإنما أكَّد كتابتها بقوله " كاملة " تأكيداً وبيانا أن الحسنة تُكْتَب له حسنة لا نقص فيها .

وهذا المقام مقام بيان فضل الله سبحانه وتعالى وأنه إذا حصل عنده نية وعزم على فعل العمل ثم لم يتيسر له القيام به لأمرٍ منعه من ذلك أو حال بينه وبين فعل ذلك ؛ فإنها تُكْتَب له حسنة كاملة ؛ وهذا يدل على كمال فضل الله سبحانه وتعالى على عباده .

قال " وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده " : يعني حصل عنده هم وتبع الهم عمل ، أيضاً انتبه لكلمة " عنده " ففيها تشريف وتعلية .

" كتبها الله عنده عشر حسنات " ويقول الله تعالى { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها } .

" إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة " : وهذا فيه أن باب التضعيف لكتابة الحسنات والمثوبة عليها باب مضاعفة ، وانظر التضعيف والانتقال من عشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة . وهنا ينبغي للعابد أن يذكر في هذا المقام كرم الله سبحانه وتعالى وعظيم فضله على عباده المحسنين ، وفي الحديث " أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء " .

والمعطي هو الله جل وعلا الكريم الوهاب المحسن المنعم جل وعلا .

فباب الحسنات والطاعات المثوبة فيه وسعة الأجر والمثوبة بابٌ لآخر له ،

في صحيح البخاري " إذا تصدق العبد بعدل ثمرة من كسب طيب والله لا يقبل إلا طيباً تقبلها الله منه يمينه ورباها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى يجدها يوم القيامة مثل الجبل " ؛ هذا المثل يدركه من له عناية بالخيّل وحب لتربية الخيل ، وكيف أن الخيل إذا أنتجت فلواً أو فصيلاً صغيراً كيف أن صاحبه يتعاهده معاهدة عجيبة ويعتني به عناية عظيمة جداً ..

فعدل ثمرة من كسب طيب تنمو وتضاعف وتُرَبَّى لصاحبها حتى يجدها يوم القيامة مثل الجبل ؛ فباب الحسنات باب مضاعفة وباب كرم وفضل ومن وعطاء ؛ يظهر فيه كمال فضل الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين ، وما أعد لهم من عظيم المثوبة وواسع الأجر وجزيل

الإنعام ، والتضعيف هنا للحسنات إلى أضعاف ؛ أيضاً دلت النصوص أن ثمة إعتبارات تلحق العمل تزيد في المضاعفة - إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة - من ذلكم شرف الزمان وفي الحديث " ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه العشرة " . أي العشر الأول من ذي الحجة . ، أيضاً شرف المكان ، وفي الحديث فالصلاة في هذا المسجد بألف ، والصلاة في عموم المساجد بخمس وعشرين ، فهذا تضعيف بسبب فضل المكان ، وفي مكة بمائة ألف ، تضعيف بفضل المكان وشرفه .

أيضاً ما يكون عليه العبد من قوة الإخلاص والصلة بالله والصدق معه ؛ فقليل العمل بإخلاص قوي وثقة كاملة وصدق مع الله يُضاعف إلى ما شاء الله مما لا يخطر ببال ولا يدور في خيال {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} . فالعمل يُضاعف أضعاف كثيرة وهذا باب فضل والله سبحانه وتعالى واسع الفضل عظيم المن جزيل العطاء جل وعلا .

قال " وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة " : أيضاً هذا باب فضل فأكدته بقوله كاملة ؛ تنبيهاً بهذا التأكيد أن العبد بتركه للسيئة يُعد هذا الترك حسنة تُكتب له كاملة ؛ وهذا مما يبين لنا أن الترك يُعد عملاً ؛ وقد مر معنا حديث صريح في هذا المعنى وهو قوله صلى الله عليه وسلم " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " فالحديث فيه دلالة صريحة على أن الترك إسلام ، والإسلام عمل " وترك ما لا يعنيه " المراد به بضابط الشرع ؛ فيتناول ترك المحرمات والبعد عن الآثام ؛ فهذه كلها لا تعني المسلم بحكم الشرع لأن الله سبحانه وتعالى نهى عنها وحرمها عليه ومنعه من فعلها .

فعَدَّ صلوات الله وسلامه عليه الترك إسلاماً وعملاً .

وهذا الحديث أيضاً فيه شاهد لهذا المعنى وهو أن الترك يُعد عملاً يُكتب للعبد ؛ ولهذا قال هنا " وإن همّ بسيئة فلم يعملها " : أي تركها .

" كتبها الله عنده حسنة كاملة " : في لفظ للحديث : " فإن عملها فاكتبوها له بمثلها (أي السيئة)

وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة " ؛ فالترك عملٌ .

وقوله " لأجلي " : وهي لفظة ثابتة في صحيح البخاري وفي بعض روايات الحديث قال " من جرأني " بمعنى لأجلي ؛ فهذا قيد لا بد منه في هذا الباب لئلا يُكتب له حسنة ؛ لأن من هم

بسيئة ولم يعملها لعجزه عن فعلها ؛ مثل شخص أراد أن يسرق وبدأ يعمل للسرقة ثم وجد أن المكان الذي سيسرقه فيه حراسة فتوقف عن السرقة وتركها ولم يسرق ؛ فهذا همّ بسيئة ولم يعملها ؛ فهل تُكتب له حسنة ؟ لا ، الأمر واضح .

أو آخر أراد أن يسرق وجاء بسلم وتبين له أن السلم قصير وترك السرقة لأنه ما عنده إمكانية ليواصل العمل ؛ فلا تُكتب له حسنة ؛

فالذي ترك المعصية لعجز أو لعدم قدرة ؛ فهؤلاء لا تكتب لهم حسنة ؛ بل إذا كان باشر العمل لفعل المعصية لكن العمل لم يتم ؛ فتُكتب سيئة عليه لمباشرة العمل ؛ لكن إذا لم يباشر العمل ؛ كأن يكون همّ أن يسرق وهو في بيته ثم ألغى الفكرة وهو جالس في بيته لم يتركها خوفاً من الله وإنما ألغى الفكرة ؛ فهذا لا تكتب عليه ولا له ؛ لكن بالمباشرة والعمل على ذلك فهذا يكون فعل أمراً استحق عليه العقوبة وباشر المعصية لكنها لم تتم له ، حال بينه وبينها مانع ؛ ويوضح لنا ذلك الحديث في الصحيح - في البخاري وغيره - ذكر فيه النبي عليه الصلاة والسلام " إذا التقى المسلمان بسييفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه " فأخذ على هذا الحرص الذي لم تتحقق واقعياً نتيجته .

قال " وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة " : لا حظ في باب الحسنات يقول "عنده" ؛ وهذه اللفظة نبه عليها النووي حتى يُنتبه إلى ورودها في باب الفضل ، مثل ما جاء في الحديث الآخر القدسي " مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني قال مرض عبدي فلان ولو عدته لوجدتني عنده " فقلوه "عنده" يدل على التشريف والفضل والإنعام وعظيم كرامة الله سبحانه وتعالى ومِنّه .

قال " وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة " : لم يذكر هنا "عنده" لأنها تأتي في مقام التشريف والفضل والإكرام ، ولم يقل أيضاً " كاملة " لأن ذكر الكمال في باب الحسنات حتى لا يُتوهم أن فيها شيء من النقص ؛ بل تُكتب سيئة واحدة ، وهذا فيه دلالة على كمال عدل الله سبحانه وتعالى {ولا يظلم ربك أحداً} .

قال الشيخ عبد المحسن العباد في شرح الحديث :

[أولاً : قوله: “ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ ... ” إلخ، يُحتمل أن يكون المراد بالكتابة تقدير الله عزَّ وجلَّ للأعمال والجزاء عليها على هذا التفصيل، ويُحتمل أن يُراد به كتابة الملائكة للحسنات والسيِّئات بأمر الله عزَّ وجلَّ، كما قال سبحانه { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } ويدلُّ لهذا ما جاء في حديث أبي هريرة في كتاب التوحيد من صحيح البخاري: “ إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فكتبوها له بمثلها، وإن تركها من أجلي فكتبوها له حسنة ” ولا تنافي بين الكتابتين؛ فإنَّ كلاً منهما حاصل] .

الشرح ..

" ولا تنافي بين الكتابتين " أي الكتابة التي تكون في اللوح المحفوظ وكتابة الملك فإن كل منهما حاصل ؛ فالله كتب في اللوح المحفوظ المقادير والحسنات والسيئات والملائكة تكتب { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } وهذه الرواية للحديث في صحيح البخاري - هذا اللفظ - يوضح ويبين الحديث الذي ساقه الإمام النووي رحمه الله ولا سيما في قوله " وإن تركها من أجلي فكتبوها له حسنة " فهذا فيه أن قوله في حديث أبي هريرة الذي ساقه المصنف " وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة " مقيد بما جاء في الأحاديث الأخرى وهو قوله " من أجلي " لم يعملها لأجل الله ؛ أراد أن يعمل السيئة فذكر الله جل وعلا وامتنع عنها فهذا تكتب له حسنة ، أما إذا تركها لعجزه عنها أو أسباب أخرى مع حرصه عليها فهذا لا يدخل في الحديث ..

[ثانياً : قوله “ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَنْهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلُهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَنْهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعَفَ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ” أكد كتابة الحسنة إذا همَّ بها ولم يعملها بأنها كاملة؛ لئلاَّ يُتَوَهَّمْ نقصانها؛ لأنها في الهمِّ لا في العمل، وبَيَّنَّ أَنَّ المضاعفة في الفعل إلى عشرة أضعاف، وإلى ما هو أكثر من ذلك، وذلك من فضل الله عزَّ وجلَّ وإحسانه إلى عباده، وفيه مضاعفة الجزاء على العمل،

دون الجزاء على الهَمِّ، وهو واضح، وأمّا حديث: " نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ " فهو ضعيف، ذكر ذلك الحافظ في الفتح ، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني .

الشرح..

قوله "فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة" : أكّد هنا كتابة الحسنة إذا هم بها ولم يعملها بقوله "كاملة" ولم يقل "واحدة" ؛ لأن هذا المقام مقام فضل وإكرام وإنعام ؛ فأكّد بقوله كاملة لئلا يُتوهّم النقص .

وهذه الحسنة كُتبت له بمجرد الهَمِّ ، الذي هو العزم على الفعل ، فُكُتبت له حسنة كاملة دون أن يقع منه فعل ، لكن لو حصل الفعل ووقع من العبد فهناك بابٌ آخر في الثواب وهو التضعيف إلى عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وهذا نستفيد منه فائدة أن المضاعفة على العمل أعظم من المضاعفة على الهَمِّ بدون العمل ؛ فإذا همّ وعمل تأتت هذه المضاعفات وأما إذا هم ولم عمل تكتب له حسنة واحدة.

وفي هذا المقام نُذكر بحديث مشتهر على ألسن العوام كثيراً لكنه ضعيف لم يثبت عن النبي ﷺ ؛ وهو "نية المؤمن خيرٌ من عمله" وإذا نظرت إلى هذا اللفظ - نية المؤمن خير من عمله - في ضوء هذا الحديث الصحيح تجد أن عمل المؤمن الصالح مضاعف إلى عشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثرة ، والنية التي لم يتبعها عمل تُكتب حسنة كاملة ولم يُذكر التضعيف

فقوله " نية المؤمن خيرٌ من عمله " إن كان المراد بهذا اللفظ هكذا على الإطلاق فهذا الكلام غير صحيح وغير مستقيم والحديث يرده ، والعمل - عمل المؤمن - قائم على نية ، ومر معنا حديث " إنما الأعمال بالنيات " أي معتبرة بنياتها ، فإذا كان عملٌ بلا نية فهذا لا يدخل في ميزان حسنات الإنسان ولا يدخل في أعماله الصالحات لأن الأعمال معتبرة بنياتها ، فقوله " نية المؤمن خير من عمله " ما المراد بعمله؟ هل المراد بعمله القائم على النية ؟ إن قالوا نعم فيقال : كيف يقال إن نية المؤمن خير من عمله الذي هو قائم على نية صالحة ؟

وإن كان المراد بلا نية ، العمل بلا نية صالحة ، أي العلم الذي هو رياء أو غير ذلك فهذا شيء آخر ؛ النية الصالحة بدون عمل خير منه .

وأخذ بعضهم هذا الحديث " نية المؤمن خير من عمله " أخذه بعضهم متكئاً عليه للتهاون في الأعمال وتجده يتهاون في العمل قائلاً : نية المؤمن خير من عمله !! فالحديث ضعيف والمبني عليه ضعيف .

[ثالثاً : قوله “ وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة “ وُصفت الحسنة على ترك المعصية المهموم بها بأنها كاملة ؛ لئلاً يُتَوَهَّم نقصانها، وُوصفت السيئة المعمولة بواحدة؛ لئلاً يُتَوَهَّم زيادتها، وهذا من فضل الله وعدله، والثواب على ترك السيئة التي همَّ بها يحصل إذا كان تركها من أجل الله، أمّا إذا كان حريصاً على فعل السيئة وقلبه متعلّق بها، وهو مُصمِّم على فعلها لو قدر على ذلك، فهو مؤاخِذٌ على ذلك، قال ابن كثير في تفسيره عند تفسير قوله تعالى من سورة الأنعام { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } “ واعلم أنّ تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام : تارة يتركها لله فهذا تُكتب له حسنة على كَفِّه عنها الله تعالى وهذا عمل ونيّة ، ولهذا جاء أنّه يُكتب له حسنة، كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح " فإنّه تركها من جرائي " أي: من أجلي، وتارة يتركها نسياناً وذهولاً عنها فهذا لا له ولا عليه لأنّه لم يَنْوِ خيراً ولا فَعَلَ شراً، وتارة يتركها عَجْزاً وكسلاً عنها بعد السعي في أسبابها والتلبّس بما يقرب منها فهذا بمنزلة فاعلها، كما جاء في الحديث الصحيح عن النَّبِيِّ ﷺ أنّه قال: " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنّهُ كان حريصاً على قتل صاحبه “] .

الشرح..

قوله " وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة " : تنبه هنا للفرق بين قوله "كاملة" وبين قوله "واحدة" ؛ كاملة في باب الفضل وواحدة في

باب العدل ، ووصفت الحسنة على ترك المعصية المهموم بها بأنها كاملة وهذا باب فضل لئلا يُتوهم نقصانها ؛ فقوله كاملة لدفع توهم النقصان ، وُوصفت السيئة المعمولة بواحدة لئلا يُتوهم زيادتها - كما في قوله تعالى {من عمل سيئةً فلا يجرى إلا مثلها} فباب العقوبة باب عدل ، وباب المثوبة باب فضل .

ثم جاء التنبيه على ترك السيئة أنه مضبوط بكونها من أجل الله ، أما إن تركها عجزاً مع الحرص عليها فإنها لا تُكتب له حسنة . وابن كثير رحمه الله له تفصيل نافع جداً عند قوله تعالى {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون}؛ ذكر فيه أن تارك السيئة الذي لم يعملها على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : يتركها لله ؛ فهذا الذي تُكتب له حسنة لأنه كفَّ عنها لله ؛ قال : وهذا عملٌ ونية ، أين العمل ؟ العمل هو الترك ، ومر معنا "وإن تركها من أجلي" فلاحظ كلمة "تركها من أجلي" فهذه الكلمة تدل على عمل ونية ، الترك : عمل ، والنية : من أجلي ؛ ولهذا قال ابن كثير : وهذا عملٌ ونية ، فالترك يُعدُّ عملاً .

ولهذا جاء أنه يُكتب له حسنة كاملة كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح "فإنه تركها من جرائي" .

القسم الثاني : وتارةً يتركها نسياناً وذهولاً عنها فهذا لا لهُ ولا عليه ، لا تكتب له حسنة ولا تكتب عليه سيئة ؛ لأنه لم ينو خيراً فيثاب عليه ولم يفعل شراً فيُعاقب عليه .

القسم الثالث : يتركها عجزاً وكسلاً عنها بعد السعي في أسبابه والتلبس بما يقرب منها ؛ فهذا وجد معه حرص على العمل وسعى في أسبابه والتلبس فيما يقرب منه لكنه لم يتمكن من فعله ؛ فهذا يُكتب عليه لما جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار " فالمقتول أُخذ بالحرص على قتله .

فهذا يدل على أن من أخذ بأسباب المعصية وحرص على فعلها واجتهد ولكنه لم يتمكن فهذا يُعاقب عليها كما هو واضح في هذا الحديث .

[رابعاً : ممّا يُستفاد من الحديث :

أولاً : إثبات كتابة الحسنات والسيّئات.

ثانياً : أنّ من فضل الله عزّ وجلّ مضاعفة ثواب الحسنات.

ثالثاً : من عدل الله عزّ وجلّ ألاّ يُزاد في السيّئات .

رابعاً : أنّ الله يُثيب على الهِمّ بالحسنة إذا لم يعملها بكتابتها حسنة كاملة.

خامساً : أنّ من همّ بسيّئة وتركها من أجل الله يكتب له بتركها حسنة كاملة.

" من أجَلَ اللهُ " هـ ذ ا ق ي د

سادساً : الترغيب في فعل الحسنات والترهيب من فعل السيّئات.

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلّ وسلّم على عبدك
ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

* * *